

المدرسة العربية التقليدية ودورها في نشر اللغة العربية في الكاميرون

مؤمن إبراهيم

قسم اللغة العربية || جامعة نغاوندرى || الكاميرون

الملخص: يعتبر شمال الكاميرون مسرحاً للوجود الإسلامي في البلاد، وذلك بفضل كونه جزءاً من دولة كانم، ثم بعد ذلك إقليمياً تابعاً لدولة الشيخ عثمان بن فودي في نيجيريا. هذه الميزة التاريخية، جعلت المنطقة منطلقاً طبيعياً للتعليم العربي في البلد. إن "المدرسة التقليدية" في الكاميرون، وهي موضوع هذه الدراسة، تعتبر أول مؤسسة في البلاد تولت التعليم العربي، وهي بهذا تحظى باحترام كبير لدى جمهور المسلمين في البلاد. فهي كانت المنارة الوحيدة التي ظلت تشرق عليها بنور العلم والثقافة والتربية على مدى عقود كثيرة قبل ظهور التعليم العربي الحديث. والباحث، قبل أن يعالج القضايا الجوهرية لموضوع هذه الدراسة، تطرق باختصار لذكر أهم القبائل الإسلامية في البلاد باعتبارها المعنية بالتعليم العربي، كما تطرق للجذور التاريخية للغة العربية في البلاد وعوامل انتشارها. ثم ذكر التعليم العربي في البلاد بادئاً بالتعليم الحديث لبيان أنه بالرغم من توليه دور الريادة في نشر اللغة العربية الآن في البلاد إلا أنه جاء متأخراً عن التعليم التقليدي. ثم دخل الباحث في موضوع الدراسة، فحاول معالجة المشكلات التي تهدد "المدرسة العربية التقليدية". ذكر المناهج التعليمية المعمول بها في هذه المدرسة وبعدها عن المناهج التعليمية بالمفهوم التربوي، ثم أتبعها الكتب المدرسية المستعملة فيها مع بيان عدم وملاءمتها، وانتهاءً بطرائق التدريس العقيم والوسائل التعليمية المستخدمة العشوائية... إلى غير ذلك من المشكلات التي ستقلل -بلا ريب- من عطاء كل مدرسة.

المدرسة التقليدية مع أهميتها في نشر اللغة العربية وأسبقيتها في هذا المجال، عانت، ولا تزال تعاني مشكلات تهدد بقاءها، والتي تطرق لها الباحث بالمناقشة في ثنايا هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: المدرسة، التقليدية، الكاميرون، التعليم، شمال، المناهج، الترجمة.

1. مقدمة.

تقع دولة الكاميرون، في وسط غرب القارة الأفريقية (Afrique centrale)، وتحدها من الغرب دولة نيجيريا، ومن الشمال الشرقي جمهورية تشاد، ومن الشرق جمهورية أفريقيا الوسطى، ومن الجنوب غينيا الاستوائية، والغابون، وجمهورية الكونغو. وغالباً ما يطلق على هذا البلد لقب "أفريقيا المصغرة" وذلك لما يتميز به من التنوع الجيولوجي والثقافي. وأعلى نقطة في البلاد هي جبل الكاميرون في جنوب غرب البلاد، ومن أكبر مدنها ياوندي العاصمة السياسية، ودوالا العاصمة الاقتصادية، هذا في الجهة الجنوبية للبلاد، وقاروا وماروا ونغاوندرى في الجهة الشمالية. وتتكون دولة الكاميرون من إقليمين أساسيين متميزين بشكل لافت للنظر جغرافياً وثقافياً، وهما إقليم الشمال وإقليم الجنوب، فالشمال يتميز بمناخه الجاف والحار، مع قلة في الأمطار وخفة في الغابات (السافانا) وندرة في الجبال وتصحرا في الأراضي بشكل تدريجي اتجاهاً من هضبة أدموا إلى أقصى شمال البلاد، كما يتميز بارتفاع نسبة المسلمين وكثرة القبائل الساحلية وارتباطها المتزايد بلغات محلية على حساب اللغة الأجنبية (الرسمية)، فارتفاع نسبة المسلمين في هذا الجزء، أكسب اللغة العربية قيمة خاصة في الكاميرون. بينما إقليم الجنوب متميز بجوه المعتدل وبغزارة الأمطار وكثافة الغابات ووفرة الجبال والهضبات وتدني نسبة المسلمين، وأغلبية القبائل في هذا الجزء هي البانتو.

وصل المستكشفون البرتغاليون إلى الساحل الغربي من البلاد منذ القرن الخامس عشر وبالتحديد عام 1472م، وسميت المنطقة باللغة البرتغالية ريو دوس كاميرويس (Rio dos Camarões). ومعنى العبارة: (نهر الروبيان)(1). وفي عام 1884م سقطت البلاد على يد الألمان.

وبعد انهزام ألمانيا في الحرب الأولى، تم اقتسام البلاد بين بريطانيا وفرنسا، وصادقت عصبة الأمم على هذا الاقتسام بمقتضى معاهدة فرساي عام 1920م. وقد تم ضم نصيب إنجلترا إلى نيجيريا، وبقي الأمر كذلك حتى الحرب العالمية الثانية. وبعد انتهاء الحرب الثانية، وضعت البلاد تحت وصاية الأمم المتحدة وذلك في عام 1946م، وبقيت فرنسا تحكم البلاد باسم الوصاية الدولية حتى عام 1959م، حيث بدأت الأوضاع تتدهور باندلاع المقاومة الوطنية، حيث حاولت فرنسا تهدئة الأوضاع، فألغت حكومة برئاسة أحد أبناء البلاد الموالي للحزب النصراني الكاثوليكي الفرنسي من الجنوب، وهو أندريه ماري مبيدا، غير أن المحاولة باءت بالفشل حيث استمرت المقاومة إلى أن آتت أكلها باستقلال البلاد(2).

وفي عام 1960م، حصل الجزء الشرقي الناطق بالفرنسية على استقلاله، وأطلق عليها اسم جمهورية الكاميرون (République du Cameroun). وبعد عام واحد حصل الجزء الغربي الناطق بالإنجليزية والذي صوت سكانه بموجب الاستفتاء عام 1961م للانضمام إلى الكاميرون لتشكيل جمهورية الكاميرون الفدرالية (République fédérale du Cameroun)(3).

وفي مايو عام 1972م تم دمج الكاميرون الشرقية الفرنسية والكاميرون والغربية البريطانية لتصبحا دولة واحدة متحدة، تحت مسمى جمهورية الكاميرون الاتحادية (République unie du Cameroun)(4). ومنذ عام 1984م، أصبح اسمها الرسمي جمهورية الكاميرون (République du Cameroun).

أما التقسيم الإداري الحالي للكاميرون فيتكون من عشر ولايات، وهي الوسط حيث العاصمة السياسية ياوندي وهي المركز، والجنوب ومركزها إيبولوا، والساحل ومركزها دوالا، والغرب ومركزها بافوسام، والجنوب الغربي ومركزها بويبا، والشمال الغربي ومركزها بامندا، والشرق ومركزها بيرتوا، وأدماوا ومركزها نغاوندي، والشمال ومركزها قاروا، وأقصى الشمال ومركزها ماروا. فالإقليم الجنوبي يشتمل على الولايات السبع الأولى، والثلاث الأخيرة الباقية يتكون منها الإقليم الشمالي.

وقد حكم الكاميرون منذ استقلاله عام 1960م السيد أحمدو أهيجو، وكان من مسلمي شمال البلاد. وقد استمر في الحكم أكثر من عشرين سنة حيث استقال في عام 1982م. وخلفه في العام نفسه السيد بول بيا وهو من نصارى الجنوب، ولم يزل رئيسا للبلاد إلى يومنا هذا(5).

وتعد الكاميرون أكثر من مئتين وخمسين مجموعة لغوية مختلفة في مساحة 475000 كلم مربع(6) إلى جانب اللغتين الرسميتين الفرنسية والإنجليزية.

تتمتع الكاميرون باستقرار سياسي واجتماعي مرتفع مقارنة مع كثير من البلدان الأفريقية الأخرى. وقد أتاح لها هذا الوضع تنمية ملحوظة في الزراعة، والطرق، والسكك الحديدية والمطارات، وكذلك بعض الصناعات النفطية. ومع ذلك، فنسبة البطالة في البلاد مرتفعة مما جعل أعدادا كبيرة من المواطنين الكاميرونيين تعيش في فقر مدقع(7).

مشكلة البحث

إن الشعوب الإسلامية في الكاميرون، مرتبطة ارتباطا وثيقا باللغة العربية، ومتأثرة بها بشكل أكبر من أي لغة أخرى في البلاد، وبحكم عشقها المتناهي لهذه اللغة، سعت جاهدة منذ فترة طويلة لنشرها، فكانت مدارس تولت منذ

عقود كثيرة تدريس العلوم الشرعية واللغة العربية بالطريقة التقليدية، ولعبت دورا بارزا في نشر اللغة العربية في الكاميرون. ومنذ ثلاثة عقود مضت بدأت هذه المدارس تنقل بشكل مثير للقلق حتى أصبحت اليوم شبه معدومة. وهل التعليم التقليدي في الكاميرون في وضعه هذا سيقدر على البقاء في ظل الظروف الراهنة؟ وما هي السبل التي يسلكها القائمون بهذا التعليم في البلاد لضمان بقائه واستمراره؟

منهجية البحث.

المنهج الذي يسير عليه هذا البحث، هو المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي. أما المنهج التاريخي فتوظيفه عائد إلى أهميته في عرض الجانب التاريخي للشعب الكاميروني، واتصاله باللغة العربية، وكذلك اهتمامه بها اهتماما بالغاً تجسد منذ وقت مبكر في تأسيس مدارس عربية في حدود إمكاناته المادية والفنية. ثم نهوضه بهذه المدرسة نحو التطور ومواكبة الحضارة والتجاوب مع الواقع، حيث قام بتأسيس مدارس عربية على نمط حديث. وأما المنهج الوصفي التحليلي فضروريته تبرز في أنه الأنسب في وصف الظاهرة وتحديد خصائصها وأسيابها، ثم تحليلها للوصول إلى النتائج.

أشهر القبائل الإسلامية بالكاميرون.

من النادر أن نجد بلدا يضاها الكاميرون في التنوع الثقافي ووفرة القبائل، وفيها ما يربو على مئتين وخمسين قبيلة كما أسلفنا. هذه القبائل تنفر من خمس مجموعات عرقية: مجموعة قبائل الهضبة الغربية، ومن أشهر قبائلها باميليكي واليامون واليامندا، ومجموعة قبائل الغابات الساحلية، ومن قبائلها، باسا ودوالا. ومجموعة قبائل الغابات الجنوبية، ومنها بيتي وبولو والأقزام، هاتان المجموعتان تسكنان في الجنوب الأكبر من البلاد. ومجموعة قبائل السافانا الشمالية، وهي مجموعة القبائل الإسلامية، ومنها الفولان والهاوسا والبورنو. ومجموعة قبائل كردي الشمالية، ومنها الموندانغ وماسا وقزيقا، وتسكن المجموعتان الشمال الأكبر من البلاد. (8) توجد القبائل العربية في أقصى شمال الكاميرون على حدود بين الكاميرون وتشاد، وعلى ضفاف بحيرة تشاد، وهم عرب رُحَّل مفرطون في السمات الزنجية، (وهم خليط من القبائل الإفريقية الزنجية والقبائل الجينية التي هاجرت إلى النوبة والسودان الأوسط منذ القرن السابع الهجري والثالث عشر الميلادي (9)، ويعرفون في البلاد اليوم بـعَرَبِشُوا)، ولكن وجود هؤلاء في البلاد لم يلعب بذاته دورا في نشر اللغة العربية في البلاد.

وما يتصل مما ذكر بموضوع دراستنا في هذا المقام، هو القبائل التي مر على اعتناقها الإسلام أكثر من قرن، تلك التي عرفت عند المؤرخين بالقبائل الإسلامية، إذ لعبت دورا بارزا في خدمة اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء عامة ووسط إفريقيا خاصة.

فالقبائل الإسلامية الموجودة في الكاميرون، هي الفولان، والبورنو، والهوسا، وماندرا، والكوتوكو وعَرَبِشُوا. تعتبر القبائل الفولانية في بلاد الكاميرون صاحبة الفضل الأكبر في تولي قيادة نشر اللغة العربية في شمال الكاميرون، حيث كان هذا الجزء ولاية تابعة لمملكة صُكُتُو الإسلامية التي أسسها الشيخ عثمان ابن فودي الفولاني في نيجيريا عام 1804م (10) كإحدى دول تتميز بحركات إصلاحية في مواجهة الوضع المتدهور في العالم الإسلامي المتمثل فيما عرف بـ"المسألة الشرقية" وما يتبعها من هجوم دول الغرب على جميع أقطار العالم الإسلامي. (11) وقد انعكست روح حركة ابن فودي على الوجود الفولاني في الكاميرون حيث وجد فيهم نشاط تعليمي بشكل متميز في البلاد، مما أدى إلى وجود عدد من مجالس العلم.

دخول اللغة العربية في الكاميرون.

عند الحديث عن اللغة العربية في الكاميرون، فيمكن التركيز بشكل خاص على الجزء الشمالي من البلاد، والذي يشتمل على ثلاث ولايات، وهي أدماوا والشمال وأقصى الشمال، إذ هي المسرح للوجود الإسلامي في البلاد. وأما تاريخ اللغة العربية في الكاميرون فمرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الإسلام فيها، فلا يمكن التطرق إلى تاريخ اللغة العربية فيها دون التطرق بنفس المستوى على الأقل إلى تاريخ الإسلام، وهما في هذه البلاد أو في غيرها من البلاد غير العربية مرتبطان ارتباطاً جسيماً بظله، فلا ينفك أحدهما عن الآخر في ظل التاريخ، وإن كان لا بد من انفكاك بينهما ففي الكيان لا غير.

عوامل انتشار اللغة العربية في الكاميرون.

أشرف نور الإسلام في مكة، حيث أول بيت وضع للناس، وحيث مولد المصطفى الله صلى الله عليه وسلم، الذي عاش بعد البعثة ثلاثاً وعشرين سنة متلقياً القرآن باللغة العربية القرشية، تلك التي كانت عرب الجاهلية بمختلف قبائلها وأقطارها تتعاطاها، وبها نزل القرآن الكريم، وتم تأليف التراث العربي والإسلامي، وهي التي تتخذها الدول العربية اليوم لغة العلم والإدارة، والشعوب الإسلامية في مختلف أنحاء العالم لغة الدين. وقبل القرن الأول الهجري امتد الإسلام شرقاً إلى حدود بلاد الصين، وبالتحديد في سنة 96هـ (12) وشمال الهند، وغرباً إلى المحيط الأطلسي وإسبانيا بما فيها البرتغال وجنوب فرنسا اليوم في سنة 92هـ (13)، ثم شمالاً إلى خراسان والحدود الشمالية الغربية من إيران، وجنوباً إلى السودان الأوسط في حوض بحيرة تشاد في سنة 46هـ (14).

وتعتبر الكاميرون جزءاً من المنطقة التي كانت تسمى في المصادر القديمة بالسودان الأوسط، (15) والتي كانت تضم دول وسط إفريقيا والنيجر ونيجيريا والجزء الغربي من جمهورية السودان الحالية، وقد دخل الإسلام في هذه المنطقة منذ وقت مبكر من تاريخ الإسلام، وبالتحديد في القرن الأول الهجري والسابع الميلادي كما أسلفنا، وقامت فيها ممالك إسلامية متعددة، أولها وأشهرها مملكة البرنو، التي قامت في كانم وبسطت نفوذها السياسي والاقتصادي والثقافي في المنطقة من القرن الثامن إلى القرن السادس عشر الميلادي (16) قبل أن تتفكك إلى ممالك. وقد يكون ما ذكر من دخول الإسلام في المنطقة في هذا الوقت المبكر مجرد اتصاله بالمنطقة وأهلها، إذ أن اعتناق الإسلام في كانم بشكل رسمي يعود إلى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي، ويذكر أن أول من اعتنق الإسلام من ملوك كانم هو السلطان أومي جلي الذي حكم في الفترة ما بين عامي 479-490هـ/1085-1097م (16). وأياً كان الأمر فإنه من المؤكد أن الإسلام قد وصل إلى هذه المنطقة التي يعتبر جزء كبير من شمال الكاميرون جزءاً منها في وقت مبكر. ويعتبر انتشار الإسلام فيها منبعا واحداً من المنابع التي وصل منها الإسلام واللغة العربية إلى البلاد، حيث وصل إلى بلاد مندارا وما جاورها.

وفي بداية القرن التاسع عشر أسس الشيخ عثمان بن فودي دولة إسلامية كبيرة في غرب إفريقيا عاصمتها مدينة صكتو بنيجيريا، وكانت هذه الدولة منبعا ثانياً لانتشار الإسلام في باقي أجزاء شمال الكاميرون إلى غربها. وهذا المنبع كان أكثر غناء من سابقه لأن تأسيس الدولة الفودية قد تم على أيدي أناس من جهابذة العلماء الأفارقة، تبحروا في مختلف الحقول من العلوم الشرعية واللغوية. أضف إلى ذلك شيئاً آخر في غاية الأهمية، وهو وضوح هدف تأسيس الدولة وسموه، إذ إن تأسيسها كان يسعى بالدرجة الأولى لإيصال رسالة الإسلام الخالدة إلى البشرية وتنقيح ما علق بعقائدها من شوائب ورواسب وثنية، وكذلك إزالة البدع والعادات التي لا تمت بصلة للإسلام.

يستنتج من هذا العرض الموجز أن الإسلام الذي كان يحمل معه اللغة العربية أينما حل، قد دخل في إفريقيا جنوب الصحراء منذ وقت مبكر من تاريخه، ثم امتد حتى وصل إلى بقية الأجزاء من البلاد، وظلت اللغة العربية إلى جانب اللغات المحلية لغة الأدب والإدارة والتعليم.

وما ينبغي التنبيه له، هو أن اللغة العربية، باعتبارها لغة الدين والدولة، لم تكن تفارق الإسلام أينما حل، فهي وسيلته الوحيدة التي يمكن له أن ينقل بها رسالته بكل دقة، وهذا ما أضفى عليها قيمة خاصة وقوة خارقة. وقد لاحظنا أكثر من مثال تَعَرُّب مناطق غير عربية من العالم العجمي، في ظل الوجود الإسلامي، وتناسيها تدريجياً لتاريخها المتجذر في الحضارة، وصارت كأن لم تكن غير عربية بالأمس. فإسبانيا على سبيل المثال، تعاقب عليها اجتياح أمم متنوعة، وهي حاملة معها ثقافتها وحضاراتها من الفينيقيين والإغريق والرومان والقبائل الوندالية الجرمانية والقوط وغير هؤلاء، ومع ذلك لم تكن، مع كل ما خلفته هذه الأمم فيها من آثار، قادرة على مقاومة اللغة العربية وحضارتها، وقد هجر الإسبان لغة البلاد ليصطنعوا اللغة العربية كلغة العلم والأدب والتواصل حتى وكأنهم صاروا عرباً في بعض الأحيان، وهو وضع كان قد أذهل كثيراً من كبار القساوسة والأساقفة الإسبان، ويدل على ذلك شكاوي بعضهم من هجران شعب الجزيرة الإيبيرية لغتهم وثقافتهم والإقبال على اللغة العربية ولوعهم بها وبثقافتها بشكل مفرط، فأصبحوا متعربين كما يسميهم أهل البلاد "الموز آراب" (Mozarabes)(17)، الأمر الذي اضطر رجال الدين في النهاية إلى ترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية إن كانوا نصارى والتوراة إن كانوا يهوداً.(18)

وما تبين من فعل اللغة العربية بأمم ضاربة جذورها في التاريخ والحضارة، يعطي تصوراً للمدى الذي بلغته، ولن تزال تبلغه هذه اللغة من أهمية في نفوس الناس. ومن المؤكد أن ذلك عائد إلى تعلقها بالرسالة الخالدة، فهي السرفى مدى أهميتها وقوتها، وهذا بالطبع ليس مقصوراً على زمان أو مكان إذا ما وجد الإسلام رجالاً.

إن اهتمام الشعب الكامبيروني، بمختلف قبائله، باللغة العربية لا يقل عن اهتمام شعوب البلدان الأخرى بها، وقد اعتنوا بتعلمها وتعليمها، وحتى محاولة تداولها في كثير من المواقف، منذ أكثر من قرن.

التعليم العربي في الكامبيرون.

التعليم الحديث

التعليم العربي الحديث أو المعاصر وفد إلى البلاد في وقت متأخر نسبياً لأسباب سياسية، وهو على غرار التعليم الحديث في العالم العربي.

انهارت الدولة الإسلامية الكبرى في بداية القرن العشرين الميلادي (1921م) (19) بعد وهن دام طويلاً، وكان من أسوأ نتائج هذا الانهيار أن سقط العالم تركة في يد الاستعمار، ومن ثم لم يعد هناك شيء يقف سدا أمامه، وظل يجتاح البلاد ويتقدم حتى غمر العالم الضعيف الذي تعتبر القارة الإفريقية منه أكبر ضحية.

لقي الاستعمار مقاومة شرسة في منطقة شمال الكامبيرون اليوم، والتي كانت تضم عدداً من الممالك الإسلامية، أو على الأقل الممالك التي تكونت باسم الإسلام، حيث وقفت مدافعة عن دينها أو مذابحة عن سلطانها. ولما استتب الأمر للاستعمار شيد عدة مدارس، وفرض على الشعوب المغلوبة لغته وثقافته، وقد اعتبر مسلمو البلاد المدارس الاستعمارية كفراً وتضليلاً، فامتنعوا عن إرسال أبنائهم إليها. وقد لاحظت الحكومة الاستعمارية-قبل استقلال البلاد-نفور هذا الجزء الاستراتيجي من البلاد واشتمأزاه من لغتها وثقافتها، ففكرت في تحلية تلك المدارس بشيء من الدروس العربية الإسلامية استجلاباً لأبناء المسلمين، كما سعت الجمعية الثقافية الإسلامية الكامبيرونية فيما بعد إلى دعم السياسة الاستعمارية وتعزيزها، فشرعت في إنشاء مدارس أهلية ذات طابع مستساغ تجمع في مقرراتها بين البرنامج الوزاري وبين اللغة العربية والتربية الإسلامية، وتسمى بالمدرسة الفرنسية العربية في المناطق

الناطقة بالفرنسية، أو الإنجليزية العربية في الناطقة بالإنجليزية. ومن البديهي أن تظهر مشكلة جديدة، وهي مشكلة من سيقوم بالتدريس في هذه المدارس من ذوي الكفاءات، ومن هنا اقتضى الأمر توفير مدرس اللغة العربية والتربية الإسلامية، فأنشئت مدارس عربية لإعداد المعلمين، والتي تحولت بعد قرابة عقدين من العمل إلى معاهد إسلامية.

التعليم العربي التقليدي.

بدأ التعليم التقليدي العربي في بلاد الكاميرون منذ أكثر من قرن، وتطور إبان تأسيس دولة عثمان بن فودي في شمال نيجيريا، وكان إقليم أدماوا أحد أقاليم تلك الدولة، وكان شمال الكاميرون جزءاً من هذا الإقليم. وهو اليوم مسرح للوجود الإسلامي وللتعليم العربي في البلاد. وكان هذا التعليمُ التعليمَ الوحيدَ الذي ظل يعمل في تعليم اللغة العربية ونشرها في البلاد.

ظل التعليم العربي التقليدي يُؤتي أكله في الكاميرون إزاء التعليم العربي العصري ويسهم في تعليم اللغة العربية ونشرها في البلاد، وظل يمد المدرسة العصرية العربية بطلاب أكثر تميزاً في غالب الأحيان. غير أن هذا التعليم ظل يعاني من مشكلات تهدد استمراريته. فمناهج التعليم التي يتبناها هذا التعليم لم تعد قادرة على مواكبة الواقع، والتطلع لمستقبل أفضل. ثم إن أساليب التدريس المستخدمة فيها غير مساعدة على بناء جيل المستقبل، القادر على العطاء. وسيتفاجم الأمر إن أضيف إلى هذا إشكالية أخرى لها علاقة إلى حد كبير مع أساليب التدريس، وهي أن التعليم التقليدي ليس فيه مقابل، ولا أي كفالة.

على أن هذا التعليم ما زال يحظى بتقدير كبير في أوساط المجتمع المسلم بالكاميرون، وما زال يستمر في تعليم اللغة العربية والحفاظ على قواعدها وفي نشر ثقافتها في البلاد.

كان التعليم العربي التقليدي في بداية الأمر يتمثل في الكتاتيب التي هي المرحلة الأساس أو المرحلة الابتدائية. فالكاتيب تستهدف الأولاد الصغار المبتدئين، حيث يتم تعليمهم القراءة والكتابة، وكذلك القرآن الكريم تلاوة وحفظاً. ثم يلتحق التلميذ بعد ذلك بالمرحلة المتقدمة التي يتم فيها تكوين التلاميذ في اللغة العربية والعلوم الشرعية، وكلتا المرحلتين منتشرتان في البلاد انتشاراً واسعاً في أنحاء البلاد. يلاحظ أنه ليس للمدارس التقليدية مبان خاصة بها، وأكثر ما تكون في أماكن خاصة. ففي مواسم الأمطار أو البرد تكون الدراسة في غرف واسعة في مدخل المنزل غالباً، بينما تكون في المواسم الحارة في أفنية متاحة: داخل المنازل أو خارجها، أو تكون تحت أشجار، ويقل اتصال المدارس التقليدية بالمساجد أو بأفنيها.

يلاحظ أن من يريد التعمق في العلم التقليدي، وخاصة في علوم اللغة العربية، يتعين عليه اجتياز حدود نيجيريا والالتحاق بمدارس أكثر عطاءً وأعلى مستوى ببعض مدنها، ومن أشهر هذه المدن في ذلك مدينة يولا القريبة من الحدود الكاميرونية من جهة الشمال.

البرامج التعليمية في المدرسة التقليدية.

ينطوي هذا النوع من المدارس على مرحلتين منفصلتين عن بعض، ولم يكن لكل واحد منهما تقسيم داخلي يذكر. في الواقع أنه ليس لهذه المدارس برامج واضحة ومحددة، فالكاتيب هدفها تعليم التلاميذ مبادئ القراءة والكتابة، ثم تعليم القرآن الكريم، ولا يضاف إلى ذلك شيء آخر في الغالب، ويلاحظ أن الرواية القرائية المعتمد عليها في هذه المدارس هي رواية الإمام ورش* غير أن أحكام هذه الرواية غير مطبقة على الإطلاق، وأنت لا تكاد تسمع منها غير ظاهرة الإمالة، وكأنها الحكم الوحيد في هذه القراءة. ويلاحظ كذلك أن تجويد القرآن الكريم غائب تماماً في

* هو أبو سعيد عثمان بن سعيد بن عبدالله بن عمرو بن سليمان 110هـ - 197هـ/728م-812م

معظم الكتابات الكاميرونية، على مستوى النظري والتطبيقي، ما عدا مناطق محدودة في البلاد، وخاصة المناطق المجاورة لجمهورية تشاد، وجمهورية نيجيريا الفدرالية. ولا تكاد تلمس أثر تجويد القرآن الكريم إلا في بعض أحكام النون الساكنة والتنوين، ومن المؤسف جدا أن تجد أن عددا من الأصوات العربية قد ضُيِّعت في أصوات اللغات المحلية، (الفولانية مثلا). فمجموعة أصوات: (ث، س، ش، ص)، تنطق سينا، كما تنطق مجموعة: (ذ، ج، ز، ظ) كلها جيما. ومجموعة: (ح، خ، هـ) تنطق هاء. وهكذا أخضعت الكتابات المحلية الأصوات العربية للأصوات المحلية، فنُطقت العينُ همزةً والضادُ باءً في الكتابات الفولانية ولائها في المدارس الهوساوية.

يبدأ التلميذ رحلته العلمية في الكتابات بالتعرف إلى الحروف الهجائية العربية من خلال السور القصار الأخيرة من الجزء الأخير من القرآن، وقد يزيد القدر المقرر من عدد السور أو يقل حسب عرف المنطقة أو المدينة، أو القبيلة، وتدخل سورة الفاتحة ضمن المقرر، وكذلك الآية الأخيرة من سورة الفتح. يقسم هذا القدر المقرر على شكل دروس غير محددة المقدار، فيكتب الدرس وهو عبارة عن سورة قرآنية قصيرة أو جزء منها- من غير أن يضبط بالشكل، ثم يقوم التلميذ بإرشاد من معلمه- بتتبع كلمات الآية حرفا بعد حرف، فيحاول تمييز ما فيها من الحروف الهجائية وضبطها من خلال التكرار، وبعد انتهائه هذا المقرر ينعطف إليه مرة ثانية، ولكن هذه المرة يكون مضبوطا بالشكل حيث يتاح للمتعلم تعلم الحركات والتدريب على قراءة ما في الدرس من كلمات وجمل، كما تتاح له الفرصة لممارسة درية الكتابة العربية على لوح من خشب، ويتدرب على رسم الحروف العربية وهي مؤلفة مع بعضها. بعد هذه المرحلة التمهيدية يعود التلميذ لختام القرآن الكريم بادئا بأخيره حيث السور القصار.

التلاميذ في هذه المرحلة يقعدون على الأرض قبالة معلمهم، وبأيديهم ألواح خشبية مختلفة الأحجام-وقد تكون لحجم اللوحة علاقةً مع مستوى التلميذ-وكل واحد منهم يكرر درسه ويعلي صوته، والمعلم يترصده ما يحدث من التلاميذ من أخطاء أو خفض صوت أو نعاس أو انشغال أو أي سلوك غير مرغوب فيه أثناء الدرس، وربما اقتضى الوضع تقسيم التلاميذ على مجموعات. ويبدو أن هَمَّ هذه المرحلة مقصور على ختم التلميذ القرآن فحسب دون الاهتمام بتجويده أو حفظه، عدا بعض قصار السور الأخيرة، ودون محاولة للترجمة وإطلاع التلاميذ على ما في الآيات من معان.

أما المرحلة المتقدمة فلا تختلف كثيرا عن المرحلة الأساسية من حيث وضعها وظروفها، فيجلس المتعلم على حصير أو فروة خروف. وربما جلس على التراب أمام أستاذه تبرُّكا. أما من حيث البرامج فالمتعلم فيها يبدأ بالتصدي لدراسة الكتب العلمية، حيث يتم فيها تلقي المواد اللغوية من نحو وصرف وبلاغة وأدب، ومواد العلوم الشرعية من تفسير وعقيدة وفقه. وليس هناك مقرر محدد يشترك فيه الطلاب أو تسير عليه المدارس، فللطالب أن يختار، ويتوجه من أستاذه أحيانا، ما يود تعلمه، وكثيرا ما يقر الأستاذه تلميذه على اختياره. في الواقع إنه يمكن استشفاف فلسفة التربية الإسلامية في بنية برامج المدرسة التقليدية، فهي تدل على مدى إحساس المعلمين بأهمية تربية الدارس، إذ الهدف الأساسي لهذه المدارس بالمقام الأول تكوين الدارس في العلوم الدينية، وبعد انتهاء الدارس من المرحلة الأساسية يخضع للمرحلة المتقدمة التي يمكن تقسيمها ضمنا إلى ثلاث مراحل؛ فالمرحلة الأولى يتزود التلميذ المبتدئ فيها أولا بمبادئ الفقه الإسلامي الضرورية التي لا غنى له عنها في حياته اليومية، وقد تُضاف أحيانا إلى مادة الفقه مادةً نصوص أدبية بهدف تزويد الدارس بمبادئ اللغة العربية وإثراء معجمه اللغوي. ثم ينتقل إلى المرحلة الثانية، التي تتميز بدراسة اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وكذلك النصوص الأدبية من مختارات الشعر الجاهلي أو مدائح نبوية أو غير ذلك مما يساعد على تقوية ملكة اللغة لدى الدارس وتعزيز موهبته. هذه المرحلة تأتي

كتمهيد للمرحلة التالية والأخيرة* ، والتي يتخصص فيها الدارس في العلوم الدينية والتي تشغل منها المادة الدينية الحيز الأكبر من نشاطه التعليمي.

على أنه ليس هناك خطة تعليمية مرسومة أو برنامج محدد وثابت ومعمول به لدى جميع المدارس التقليدية في البلاد، وأقصى ما يمكن اعتباره كمنهج، هو الكتب التي جرى استخدامها بشكل مستديم دون ترتيب بين المراحل أو داخل مرحلة ما.

الكتب المدرسية

لا توجد كتب مدرسية في المرحلة الأساس غير المصحف، ذلك لأن التلميذ في هذه المرحلة لا يُضاف له إلى تعلم القرآن الكريم شيء آخر، فما يمكن أن يُعتبر كتاباً مدرسياً في هذه المرحلة، هو المصحف الشريف فحسب. توجد في المرحلة المتقدمة للمدرسة التقليدية عدد من الكتب التي تم تقريرها بشكل عشوائي، ومن أشهر هذه الكتب على سبيل التمثيل لا الحصر، ما يلي:

المؤلف	المجال	الكتاب
الشيخان الجليلان جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي	التفسير	تفسير الإمامين الجلالين
الشيخ الخازن علي بن محمد بن إبراهيم الشيعي	التفسير	ولباب التأويل في معاني التنزيل
الشيخ عبد الرحمن الأخضرى	الفقه	كتاب الأخضرى
الشيخ عبد الباري العشماوي الرفاعي	الفقه	العشماوية في العبادات
للشيخ أبي الحسن بن خلف المنوفي المصري	الفقه	المقدمة العزية
أبو المودة، ضياء الدين خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المصري الجندي	الفقه	مختصر خليل
الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني	الفقه	متن الرسالة
ابن أجزوم	النحو	المقدمة الأجزومية
أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري	النحو	ملحة الإعراب
محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني	النحو	ألفية ابن مالك
الشيخ جلال الدين السيوطي	البلاغة	عقود الجمال
محمد الحريري البصري	الأدب	المقامات الحريرية
امرؤ القيس، وزهير بن أبي سلمى وعنترة بن شداد، وطرفة بن العبد، ولبيد بن ربيعة، وعمرو بن كلثوم	الأدب	مختارات من الشعر الجاهلي
الوزير الفاضل أبي زيد علي بن عبد الرحمن ابن أبي سعيد الغزالي الأندلسي	الأدب	الوسائل المتقبلة

وأما أوقات الدراسة في المدرسة التقليدية فهي فترة صباحية أو فترة مسائية أو كليهما تبعاً لطبيعة الظروف المحلية، ويلاحظ أن المعلم أو الأستاذ متفرغ تماماً لمهنة التدريس في غالب الأحيان، ولذا نرى أن العنصر الزمني في

* هي ليست مرحلة منفصلة مستقلة، بل تمثل مدخلاً للمرحلة التالية، لأن الدارس فيها ليس ملزماً بأن يدرس العلوم اللغوية البحتة.

التدريس غير معتبر، إذ ليس من المهم يفكر المدرس في كيفية توفير وقته. وقد يشترك في مادة واحدة أكثر من تلميذ، فيقوم المعلم أو الأستاذ بتدريس كل فرد منهم على حدة بدلا من أن يفكر في إشراكهم في درس واحد.

رسوم الكتاتيب.

مسألة تفرغ المدرس التقليدي تقودنا إلى سؤال طبيعي نحاول الإجابة عنه في السطور التالية. وهو: بم أن المدرس التقليدي متفرغ تماما لمهنة التدريس... فما المقابل الذي يتقاضاه لقاء عمله هذا؟ الدراسة في المدرسة التقليدية-من غير شك-بدون مقابل، ذلك لأنه لمدرس الدين، ولا يرى العرف في البلاد شرعية إعطاء المقابل لمدرس الدين قل أو أكثر. وما يمكن أن يُعتبر مقابلا في هذا، هو ما كان يتعارف عليه أهالي كل منطقة من تقديم التلميذ ذبائح تدريجيا أثناء تنقله عبر السور القرآنية، وهذا ينطبق في الغالب على المرحلة الأولى: (الكتاتيب) دون الثانية: (الحلقات العلمية)، ففي وسط شمال الكاميرون يقوم الأب أو ولي أمر الولد بتقديم ذبائح، وتتمثل في: ضأن وقت كونه قادرا على الكتابة والقراءة، ثم دجاجة عندما يدرس من الناس إلى الأعلى، وأخرى عندما يصل إلى سورة الجن، فيظل التلميذ لا يسأل عن شيء حتى يصل إلى سورة ص أو يس على خيار منه، فيقدم ضأنا. ثم يستمر إلى أن يصل إلى سورة التوبة، فيقدم ضأنا آخر. ولا يسأل عن شيء بعدها حتى يختم القرآن الكريم، فيقدم بقرة (مسنة) أو مبلغا معيناً من المال. وهناك أماكن أخرى اختيارية يقدم فيها التلميذ ذبائح في كل واحد منها، وهي: سورة الملك وسورة الرحمن وسورة مريم. هذا بالإضافة إلى الخدمات المنزلية التي كان يقوم بها التلاميذ في منزل المعلم (20).

هذا هو الوضع العام في المدن والأرياف، ولكنه تغير كثيرا، وخصوصا في المدن، فقد ألغيت الامتيازات التي كان يتمتع بها معلم الكتاتيب في السابق، وتقلص دور الكتاتيب تدريجيا بظهور التعليم العصري وقلت أهميته في المجتمعات المحلية، ثم إن المفاهيم قد تغيرت ولم يعد استفادة معلم الكتاتيب في الإمكان، فصار يطلب رسوما رمزية من أولياء التلاميذ لا تتجاوز حُمس دولار أمريكي يقدمه كل تلميذ عشية عطلة الأسبوع أو نهايتها.

وسائل التعليم.

إن الوسائل التعليمية لا توجد في المدرسة التقليدية العربية في البلاد وسائل متنوعة للتعليم، فغاية ما في الأمر أن يكون لدى المتعلم كتاب المادة الذي يعكف عليه أمام شيخه، فالوسيلة الوحيدة التي يمكن الحديث عنها في هذه المدارس هي الترجمة التي هي لغة الشرح والبيان.

الترجمة.

وتعتبر الترجمة الحرفية عنصرا أساسيا في عملية التعليم في المدرسة العربية التقليدية في الكاميرون، وهي تمثل الوسيلة الوحيدة من وسائل التعليم في هذه المدرسة من يوم نشأتها إلى يومنا هذا. الترجمة في مفهومها العلمي هي عملية نقل معنى وأسلوب من لغة إلى لغة أخرى (21)، وهي أداة فعالة من أدوات نقل العلوم والمعارف، وتوفر ظروفًا مساعدة على نجاح عملية التعليم، وعلى إثراء المجال التنموي. غير أن الترجمة المستخدمة في المدارس العربية التقليدية في الكاميرون، هي الترجمة الحرفية، التي تعني بتجريد الكلمات من جملتها ومن سياقها ثم ترجمتها مفردة دون إعادة تركيبها ثانية ليُترجم التركيب الذي تستقلّ فيه الرسالة المقصودة، فمهما كان حجم الكتاب فإن دراسته تنطلق من ترجمة أول كلمة فيه، وتستمر كلمة تلو أخرى إلى آخر كلمة منه. ويلاحظ أن الدارس في هذه المرحلة ليس له مشاركة تذكر، فالمعلم يلفظ بكلمة عربية ثم يتبعها كلمة فولانية مقابلة لها، وبهذا الأسلوب تتم الترجمة، كلمةً

عربية تليها مقابلتها فولانية أو غيرها من اللغات المحلية دون القيام بأي محاولة لفهم المعنى الإجمالي للجمل أو للفقرة، فذهبت المعاني الإجمالية ضحية للترجمة الحرفية.

ومع ورود عجز الترجمة الحرفية في التعاطي مع العبارات أو النصوص حتى في داخل لغة واحدة وفي ظل ثقافة واحدة، فإنها تظل ضرورية في المدرسة التقليدية في البيئات غير العربية. فكثير من اللغات الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء مثلا، ظلت متنقلة عبر التاريخ عن طريق المشافهة، ولم توفق في أن توضع في قوالب مادية تحفظ لها كيانها، الأمر الذي سوف ينتهي بها-حتمًا- إلى الانقراض، فالترجمة الحرفية في مدارسنا التقليدية إذن تلعب دورا ثنائيا في آن واحد، هي وسيلة لتعليم اللغة العربية ونشرها ونشر ثقافتها، وفي الوقت نفسه وسيلة-غير مقصودة-لحفظ اللغات المحلية من الضياع.

في الواقع أن اللغة الفولانية على سبيل المثال- وهي لغة محلية لأغلبية أهل البلاد - كانت، قبل مجيء الاستعمار إلى هذه البلاد، لغة إدارة وأدب وتأليف في شمال نيجيريا وشمال الكاميرون إلى جانب اللغة العربية، وقد استعملت في مجال العلم بشكل أكثر في نظم العلوم الشرعية، وخاصة الفقه الإسلامي والعقيدة الإسلامية، وكذلك في تأليف القصائد التذكيرية، وأما استعمالها في غير ذلك فكان جله-فيما أعلم-شفويا ويظهر ذلك جليا في مجال التعليم، (وبشكل أكثر في شهر رمضان المبارك كحلقات رمضان تعقد في المساجد). ومنذ أواخر القرن العشرين الميلادي حصل تحول نوعي في مجال ترجمة العربية إلى اللغات المحلية، فبدأت الترجمة الكتابية تظهر، فترجم أفراد من ذوي المثابرة والهمة العالية عددا من الكتب التي تعتبر عادة مقررات في المدارس التقليدية، ويبدو أن هذا النشاط المتميز جاء نتيجة لحوافز دينية، حيث نلاحظ التجارب الأولى في هذا المجال تتمثل في ترجمة معاني آيات القرآن الكريم من السور القصصار، ثم كتب الفقه المالكي ابتداء من كتاب "قواعد الصلاة" وانتهاء إلى "الرسالة" لأبي زيد القيرواني، وقد تناولت التجربة بعض الكتب الأدبية من مختارات الشعر الجاهلي والمدائح النبوية والمقامات الحزبية، وغير ذلك مما يتصل بالفلسفة التربوية لهذه المدارس. هذه الكتب المترجمة تمثل في مجموعها معجما عربيا فولانيا بشكل ما، وتعد كذلك مواجهة فعلية-عن قصد أو عن غير قصد-للتحدي الذي بدأ يهدد اللغة الفولانية بالانقراض، ذلك لأن المدارس التقليدية لا تحتوي إطلاقا على ما يضمن لها استمرارية الوجود، فهي آخذة بالتقلص في جميع أنحاء البلاد.

مناقشة:

يبدو أن المشكلة الأساسية التي يعانيها هذا الصنف من التعليم العربي في البلاد، تتمثل بالدرجة الأولى في طبيعة البرامج التعليمية. لهذه المدارس مرحلتان، الأساسية (الكتاتيب) والمتقدمة. (المجالس العلمية)، ولكل واحدة منهما برنامجان، الديني واللغوي. فالكتاتيب مقصورة على تعليم مادة القرآن فحسب، ولا تتجاوزها إلى غيرها في غالب الأحيان. أما المجالس العلمية التي تدرس عدة مواد شرعية ولغوية، فليس لها المناهج أو البرامج التعليمية غير كتب اعتبارت كبرامج. ففي البرامج الدينية، نجد أن معظم الكتب التي وضعت لتعليم الصغار أساسا، وهذا ما صرح به بعض من مؤلفي هذه الكتب(22)، ولكنه جرى استعمالها للصغار والكبار على حد سواء، بل القول بأنها تستعمل للكبار دون الصغار قد لا يكون غلطا. وأما الكتب التي يقال بأنها كتب اللغة العربية فمعظمها كتب أدبية، بل نصوص أدبية. ولعل مفهوم تعلم اللغة العربية عند واضعي هذا البرنامج إنما يتمثل برصد أكبر عدد ممكن من المفردات العربية من خلال دراسة الشعر الجاهلي وغير الجاهلي، وكأن الظفر بمفردات اللغة كاف لكسب هذه اللغة، بل هو اللغة ذاتها. هذا المفهوم الخاطئ والعقيم لطبيعة مادة الدينية واللغة العربية في المدرسة التقليدية بمراحلتها

الأساسية والمتقدمة، من شأنه أن يساهم في تدني مستوى العطاء التعليمي أولاً، وفي تنفير الشباب الدارسين في هذه المدرسة ثانياً. هذا بالإضافة إلى أنه مكلف إلى حد كبير للوقت والجهد من كلا الطرفين دون بلوغ الغاية. لا نتجاوز الحديث عن البرامج التعليمية في المدرسة التقليدية إلى الحديث عن أساليب التدريس فيها حتى نجد أن الأمر قد صار أسوأ من ذي قبل. بدأ التعليم العربي التقليدي في الكاميرون بطريقة الترجمة الحرفية، واستمر عليها عقوداً كثيرة، وإلى يومنا هذا دون أي محاولة للتغيير. إنها أساليب لا تساعد الدارس على تحقيق المُنَى، ولا تشجع الثبات على التعلم، وخاصة لمن ذاق طعم أساليب التدريس التربوية، وهي مليئة بالمشكلات. ومن مشكلات هذه الأساليب أن فرص نشاط ومشاركة المتعلم في الدرس محدودة بل معدومة، فالأستاذ يظل مستأثراً كل النشاط التعليمي من أول الدرس إلى آخره، والمشاركة أثناء الدرس غير متاحة لأحد من أول الدرس إلى آخره، وكأنه لا أحد قبالتة. فالدارس لا يملك قولاً غير ترديد كلمة "نعم" حيناً، وحيناً آخر ما ترجمته: "أحسن الله إليك". وربما وقر في اعتقاد الدارس أن كلاماً غير هذه الكلمات وما شابهها إنما هو من إساءة أدب مع أستاذه، وحتى الأسئلة الاستيعابية تعتبر ضرباً من اللغو. والسؤال الوحيد الذي يمكن أن يوجه للأستاذ هو الاستفسار عن مقابل كلمة عربية باللغة الفولانية، ولا نلاحظ غير ذلك أدنى نشاط فكري. هذا حال طريقة التدريس في المدرسة التقليدية منذ نشأتها إلى يومنا هذا، فبقاؤها لهذه المدة الطويلة دليل على عدم واقعيتها وفشلها، إذ التطور والتغير من سمات الحياة البشرية، ومن سمات كل ما ينتجه البشر. فمثل هذه الطريقة وما شابهها لا يورث إلا ركوداً ذهنياً وعطلاً في التفكير. وإذا ضُمَّ هذا العقم الأسلوبى إلى ذلك الخلل المنهجي فإن النتيجة تؤسف، وخاصة إذا وُضعت هذه النتيجة إلى جنب ما يتم بذله من جهد ووقت من كلا الطرفين.

أما الكتب المدرسية التي تبنتها المدرسة التقليدية، فبالإضافة إلى أن مستوياتها متفاوتة، فإنها غير متخصصة للكتاب المدرسي، فدراسة قواعد اللغة العربية غير مساعدة تعلم اللغة بالشكل الجيد، ولعل هذا هو السبب في ضعف تأليف الجملة العربية لدى الدارس في المدرسة التقليدية.

في الواقع أن ما ذُكر آنفاً من غياب البرامج التعليمية بالمفهوم التربوي، وعقم أساليب التدريس، وعشوائية اختيار الكتب المدرسية، لا يقلل من أهمية هذه المدارس لدى المجتمعات المحلية. ويكفي للمدرسة التقليدية شرفاً في كونها أول من تولى تعليم اللغة العربية في الكاميرون، وأول من لعب دوراً في نشرها والحفاظ عليها. وهناك فضل آخر يجب أن يسجل للمدرسة التقليدية في دورها لنشر اللغة العربية في الكاميرون، وهو أن ميزة الطلاب الذين تزودوا من هذه المدارس قبل أن يلتحقوا بالمدارس النظامية واضحة، فهم يواجهون في دراستهم صعوبة أقل من التي تواجه من لم يتزودوا منها، وكثيراً ما كان مدرسو المدارس النظامية ينصحون طلابهم بالتزود منها أثناء دراستهم، ذلك لأن (المدارس التقليدية) تتميز بخلوها من لغة العصر، فلغة التدريس فيها، فولانية أو غير فولانية، هي لغة أدبية تتسم بالقوة والجزالة، وهي لغة لا تكاد تسمعها في الشوارع، ومثل هذه جديرة بأن تكون الترجمة بها دقيقة وصائبة، وهذا في حد ذاته عامل كبير في دقة فهم اللغة "الهدف" وبرهان آخر يؤكد الدور الذي لعبته المدرسة التقليدية في نشر اللغة العربية في الكاميرون. وقد أدرك بعض مؤسسي المدارس العربية العصرية في البلاد هذه الميزة للمدرسة التقليدية فخصصوا في مدارسهم النظامية جناحاً خاصاً بالتعليم التقليدي.

نتائج البحث.

بعد هذا العرض الموجز نتوصل إلى نتائج، أهمها ما يلي:

- 1- التعليم العربي هو أول تعليم في بلاد الكاميرون، ذلك لأن الإسلام سبق المسيحية إلى هذه البلاد بعدة قرون، وكان بصحبه هذا التعليم.

- 2- التعليم العربي التقليدي أسبق إلى البلاد من التعليم العربي العصري، ولهذا التعليم فضل الأسبقية إلى نشر اللغة العربية في الكاميرون.
- 3- اللغة العربية منتشرة في الكاميرون، وانتشارها في الشمال أكثر من انتشارها في الجنوب الذي بدأ انتشارها فيه في وقت متأخر مع التعليم العربي العصري.
- 4- هناك تكامل بين التعليم العربي التقليدي وبين التعليم العربي العصري، فالطالب الذي يجمع بينهما يتميز على الذي انفرد بأحدهما بشكل واضح.
- 5- التعليم العربي التقليدي، مع أهميته وقدمه في البلاد، لا تتوفر فيه مقومات البقاء.
- 6- المدارس العربية التقليدية مهددة بالانقراض في البلاد، لما تعانيه من مشكلات مادية وفنية.
- 7- لا يوجد حتى وقتنا الحاضر مبادرات في البلاد، تسعى لإيجاد حلول لبعض مشكلات التعليم التقليدي.

التوصيات.

يوصي الباحث بما يلي:

- تنظيم دورات ولقاءات وطنية للنظر في "قضية المدرسة العربية التقليدية" بالكاميرون، وفي كيفية إنقاذها من الانقراض.
- تقديم الكفالة لمعلمي المدارس العربية التقليدية، وتقديم الدعم المادي لهذه المدارس.
- تنظيم دورات تدريبية لمعلمي المدارس العربية التقليدية.
- دعم العالم العربي للمؤسسات التعليمية التي تعنى بتعليم اللغة العربية في البلاد غير العربية، وخاصة في الكاميرون.
- دعم المشاريع تسعى لتعليم اللغة العربية ونشر ثقافتها في البلدان غير العربية.

الهوامش.

- 1- Mal Harouna Bello, Le Cameroun et ses voisins : Le cas de la république Centrafricaine, mémoire (DIPES II), P. 1, Ecole Normale Supérieure de Maroua, 2011..
- 2- ياغي، إسماعيل أحمد، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج. 2، ص. 248، دار المريخ للنشر، الرياض- المملكة العربية السعودية، 1995م.
- 3- K-ZERBO Josephe, Histoire de l'Afrique noire, P 515, Librairie HATIER, 8, Rue d'ASSAS, PARIS 6e, 1972.
- 4- K-ZERBO Josèphe, Histoire de l'Afrique noire, P 291,
- 5- ياغي، إسماعيل أحمد، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج. 2، ص. 248.
- 6- Jean Hureau, le Cameroun aujourd'hui, P. 9, j.a. 1980, 3 Rue Roquepine-75008 Paris.
- 7- Institut National de la Statistique du Cameroun www.statistics-cameroon.org
- 8- ياغي، إسماعيل أحمد، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج. 2، ص. 247.
- 9- سعيد علي، اللغة العربية في الكاميرون بين الواقع والمأمول: وسائل الانتشار ودور المؤسسات، مجلة العربية والترجمة ص: 132، العدد: 20، السنة: 2015م.

- 10- سنوسي، لاميدو سنوسي، السياسة والشريعة الإسلامية في نيجيريا، العمل الجماعي بعنوان: (الإسلام وسياسة المسلمين في إفريقيا)، ترجمة عوض محمد حسن، والدكتور فيصل عوض، 271، الطبعة العربية الأولى، المكتبة الأكاديمية 2013م.
- 11- الماحي، عبد الرحمن عمر، الدعوة الإسلامية في إفريقيا: الواقع والمستقبل، 121، كلية الدعوة الإسلامية، 1999م.
- 12- ابن الأثير، عز الدين، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت 630هـ)، التاريخ الكامل 3:289، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، 1407هـ/1987م.
- 13- المصدر نفسه: 4:270.
- 14- الماحي، عبد الرحمن عمر، الدعوة الإسلامية في إفريقيا: الواقع والمستقبل، 80.
- 15- المصدر نفسه: 65.
- 16- الدكّو، فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لامبراطورية كانم، رسالة دكتوراه، ص. 91، ط. 1، 1998م.
- 17- ماجد، عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، 377، ط. 3، مكتبة أنجلو المصرية 1973م.
- 18- المصدر نفسه: 378.
- 19- ياغي، إسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، 231، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، 1998م.
- 20- مودبُو، سُليمان مال قوني، لقاء أجري معه في حلقة العلمية سبتمبر 2016م.
- 21- خلوصي، صفاء، فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة، ص. 17، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، 1982م.
- 22- النفراوي، أحمد بن غنيم، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ج 1، ص. 31-43، ط. 1، دار الكتب العلمية، 1998م.

قائمة المراجع.

المراجع العربية

- 1- ابن الأثير، عز الدين، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت 630هـ)، التاريخ الكامل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، 1407هـ/1987م.
- 2- الدكّو، فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لامبراطورية كانم، رسالة دكتوراه، ط. 1، 1998م.
- 3- الماحي، عبد الرحمن عمر، الدعوة الإسلامية في إفريقيا: الواقع والمستقبل، كلية الدعوة الإسلامية، 1999م.
- 4- النفراوي، أحمد بن غنيم، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ط. 1، دار الكتب العلمية، 1998م.
- 5- خلوصي، صفاء، فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، 1982م.
- 6- سعيد علي، اللغة العربية في الكاميرون بين الواقع والمأمول: وسائل الانتشار ودور المؤسسات، مجلة العربية والترجمة، العدد: 20، السنة: 2015م.

- 7- سنوسي، لاميدو سنوسي، السياسة والشريعة الإسلامية في نيجيريا، العمل الجماعي: (الإسلام وسياسة المسلمين في إفريقيا)، ترجمة عوض محمد حسن، والدكتور فيصل عوض، الطبعة العربية الأولى، المكتبة الأكاديمية 2013م.
- 8- ماجد، عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط.3، مكتبة أنجلو المصرية 1973م.
- 9- مودبُو، سُليمان مال فوني، لقاء أجري معه في حلقاته العلمية سبتمبر 2016م.
- 10- ياغي، إسماعيل أحمد، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر، الرياض-المملكة العربية السعودية، 1995م.
- 11- ياغي، إسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، 1998م.

المراجع الأجنبية:

- 1- Institut National de la Statistique du Cameroun www.statistics-cameroon.org
- 2- Jean Hureau, le Cameroun aujourd'hui, j.a. 1980, 3 Rue Roquepine-75008 Paris.
- 3- K-ZERBO Josèphe, Histoire de l'Afrique noire, Librairie HATIER, 8, Rue d'ASSAS, PARIS 6e, 1972.
- 4- Mal Harouna Bello, Le Cameroun et ses voisins : Le cas de la république Centrafricaine, mémoire (DIPES II), Ecole Normale Supérieure de Maroua, 2011.

Arabic traditional school in Cameroon and Arabic language

Abstract: North Cameroon is the scene of the Islamic presence in the country, thanks to its membership in the State of Kanem, Then to a territory belonging to the State of Sheikh Usman Ben Fodio in Nigeria. This historical advantage has made the region a natural starting point for arab education in the country.

"The Traditional Arabic School" wich is the subject of this study, was the first institution to have provided Arabic language education in Cameroon. This was so respected by the muslim community of the country. It was the only light that was responsible for popularizing Arabic language and culture for many decades. Before addressing the fundamental questions of this study, the researcher briefly mentioned the ethnic groups considered as the main actors for the popularization, its historical roots and the ways by which this Arabic language has arrived in the country.

In addressing the history and impact of the "Traditional Arabic School" on arabic language popularization in the country, he briefly mentioned its history, starting with modern school. Although it arrived relatively late, the modern school is currently taking the lead in spreading the Arabic language in the country.

Furthermore, the researcher addresses the threatening issues of the "Traditional Arabic School" such as the curriculum, pedagogy and textbook used in this school that will, no doubt, have negative impacts on educational results.

"The Traditional Arabic School", with its importance in the dissemination of the Arabic language and its predominance in this area, continues to be threatened with extinction by these problems which will be the subject of discussion during this study.

Keywords: Arabic School, Traditional, Cameroon, North, Education, curriculum, translator